قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم
محمد النقاش

منذ شهور طويلة كلفني صديقي سهيل ادريس المهمة نفسها . ولعله كلما اشتاق الى مديح ، عهد فيها الي ... فهو يعرف اني احبه، واحب عمله الجيد الذي تجسد في « الآداب » مجلة نفيسة في خدمة الفن والفكر والقومية . ولن ابخل عليه بهذا المديح المؤمل ، فـ « الآداب » ، ما زالت بعد سنتين ونصف السنة من عمرها المديد ان شاء الله، وفية لرسالتها ، حافظة طابعها، غزيرة المادة ، مترفعة ما امكن عن كل مسف او مبتذل .

ولا ادري اذا كان طابع المجلة الكلاسيكي هذا ، هو الذي يحول بينها وبين بعض التجدد في موضوعاتها وابوابها واخراجها . كما لا ادري اذا كان مبدأ الالتزام الذي أخذت به نفسها ولا تنفك تبشر به ، هو الذي يملي عليها هذه الرصانة التي لا تعرف الضحك وتكاد لا تعرف الابتسام .. على اساس ان واقعنا العربي جدي هذه الايام ، فلا يدعو الى الضحك او الى الابتسام .

واحسب ان بعض التجدد – اقول بعضه لا الكثير منه – لن يفقد المجلة طابعها ، ولن يخرج بها عن جادتها ، وانما يزيدها حيوية واندفاعاً . فكل شيء لا يتجدد بمقدار ، عرضة للهرم والتقبض والانحلال .

و« الآداب » حسناء لا تضحك . لا اقول انها مقطبة عبوس، لكن كل امارات الجد تلوح على محياها . وهي كربة دار تقدم لك الطبق الدسم تلو الطبق الدسم ، من غير مقبلات ولا شراب ولا حلوى ، الامر الذي قد يسبب للآكل النهم – اي للذي يقرأ العدد برمته – ضرباً من التخمة في الدماغ .

ان عنصر الفكاهة والدعابة مفقود في المجلة، على الاقل في هذا العدد السادس من السنة الثالثة الذي قرأته من الدفة الى الدفة ، كرهاً لا طوعاً، ذلك ان المكلف بقراءة العدد ، يحرم احسن متعة في المجلات، وهي ان يتخير ما يقرأ على عكس الكتاب الذي لا مفر من قراءته دون تفويت سطر واحد . اننا نقرأ عادة في المجلات الموضوعات التي تروقنا وتستهوينا باسماء كتابها او عناوينها . وهذا ترف لا يجوز للمكلف بقراءة العدد ، لئلا يفوته امل جديد لما يسطع نجمه .

اعود الى نصيب الفكاهة من المجلة ، وهو في حكم العدم ، فلا اجد له مبرراً عند شرف الالتزام .. فانا من الذين يؤمنون بان الانسان حيوان يضحك .. يضحك في اسعد الايام ، ويضحك في احلكها ، ولا يكون ضحكه في المرة الاولى ضحك الابله المستسلم ، ولا ضحك المستخف المستهتر في الحالة الثانية .

يجب ان يفتر ثغر المجلة عن ابتسامة بين الفينة والفينة عن ضحكة : نكتة بين كل مقال ومقال . هذا عدا مقال او اكثر ، قصيدة او اكثر قصة او اكثر ، تنضح بالدعابة والفكاهة ، فتنشرح نفس القارىء ويسهل عليه الهضم ، هضم الجد والرصانة ، مع العلم بان ليس كل جدي ورصين عسير الهضم .

وليسمح لي بملاحظة قليلة الاحتشام : اتعرف ما يحل اليوم محل هذه النكات والطرف في المجلة ؟ صورة وجه جميل او منظر جميل ؟ لا .. هناك دائماً مربع او مستطيل يحمل اعلاناً لكتاب ترجمه منير البعلبكي او سهيل ادريس ..

انطباعات سريعة

بعد هذه المقدمة التي تنطبق على ما في العدد الماضي ، وعلى كثير مما في سائر الاعداد ، لا بد من مقدمة ثانية حول المهمة الموكولة الي . فما هي بالضبط هذه المهمة ؟

اذا كان المقصود نقد العدد الماضي كما ينبغي ان يكون النقد فانا اعترف سلفاً باني عاجز عن المهمة ، لان كل مقال وكل قصيدة وكل قصة وكل باب من ابواب المجلة ، قد يستنفد مني جهداً انوء به وحده، فكيف بجملة جهود ، ويتطلب حيزاً لا قبل للمجلة به .

الذي افهمه ، ان اسجل بضع انطباعات سريعة وانا اقرأ ، انطباعات احاول ما امكن ان لا تكون جارفة ولا قاطعة ، فلا اجنح الى التعسف . وانا اعرف ما يعاني الكاتب من آلام المخاض والولادة ، فلا اتجنى عليه بحكم خاطف او نظرة عابرة .

ان الحكم على اديب واحد يحمل ضميرك ساعات من المحاكمة والمقارنة والتأمل . فكيف بالحكم دفعة واحدة على كوكبة من الادباء ؟ اللهم اني لا احاكم – ولست اهلاً لان احاكم – ولا اقضي .. انما اقول ما عن لي قارئاً يحب ان يتذوق ما يقرأ ، وان يتثقف به ، وان يرفض في الوقت نفسه ان يكون مغفلاً يخدعه الكاتب او يستخف به او يسخر منه .

اما بعد فلنباشر المهمة !

القصص

ابدأ بالقصص ، لان القصة – طويلة وقصيرة – هي في عصرنا اداة التعبير الاولى في الادب . ولن يدخل ادبنا ميدان الادب العالمي الا بالقصة . ولاني اقرأ عادة اول ما اقرأ في المجلة القصص .

ان « سالي » للدكتور عبد السلام العجيلي ليست في نظري قصة الشهر فحسب ، بل درة القصص من موضوعة ومترجمة ، ولؤلؤة العدد كله. طالعتها بلذة وشوق، لم اتململ لحظة او ابرم، فالسرد رائع ، والاجواء التي يخلقها المؤلف في تضارب عجيب غير مغتصب بين بلد الهجير وبلد الصقيع ، والمفاجآت التي تتوالى في يسر ولين حتى انحلال العقدة الاساسية ، والاسلوب الجميل في السرد والحوار ، كل ذلك يجعل « سالي » على مستوى القصص الرفيع . ولئن احتج جماعة الالتزام بان « سالي » لم

تعالج مشكلة بالذات من مشاكلنا ، فان فيها نفحة خلقيـــة تتضوع مسكاً من كل اردانها ، من كل اسطرهـــا . وهي عندي اروع من الف عظة .

***

اراد الاستاذ نديم نعيمه ان يكتب قصة ذات نبرة انسانية في « الوصية ». وقد وفق في المدخل الى حد يذكرك بتشارلز ديكنز ، لكنه راح يتعثر ويتسكع بعد هذا المدخل ، وعبثاً يحاول ان يجد النكهة القصصية ، لذيذة او مثيرة او عميقـة . واني لاتساءل عن « حجاب السلامة » قطب الرحى في القصة ، كيف تكون له هذه الاهمية وكيف يكون حجاب سلامة ، وقد ادى بصاحبه الى مهاوي البؤس ، ولم يصنه حتى من ذل السؤال وليته لم يحمه من الموت الشريف في ساحة القتـال ! ولقد جنى القاص على بائع العلكة الصغير حين قلده هـــذا الحجاب المشؤوم ...

***

القصة الانسانية النبرة في نجاح وروعة هي « اللقـاء » التي نقلها الدكتور سهيل ادريس عن الكاتب الفرنسي جان ريفرزي . فهنا ، في جو من البساطة المطلقة ، تصرخ العلاقـات البشرية صرختها الانسانية الاخوية ...

آخذ على سهيل فقط ترجمة بعض المصطلحات الطبية . فآلة التوتر هي مقياس الضغط في لغة الطب . ووكيل المنتجـات هو وكيل الادوية او المستحضرات ، كما يقال الشرايين تتصلب بدلاً من ان تقسو .

***

غاب عني ان ادرك السر في اهداء قصه « حنان » الـــتي نقلها الاستاذ توفيق حنا عن الكاتب الفرنسي هنري باربوس الى جانين مونترو بطلة الحي اللاتيني . فالذي وقع بينها وبين حبيبها لم يقع مثله بين بطلة « حنان » وحبيبها . وعـــلى اي حال ، فحنان قصة ناعمة كاسمها عميقـــة العاطفة الى درجة تستعصي معها على افهام عامة الناس .

***

« قاهر العفاريت » هي البسمة الوحيدة في العدد ، اي انها الشاذ الذي يثبت القاعدة ، وقد قرأت قصة احمد سويد هـــذه بكثير من المتعة ، واحببت ما فيها من ومضـــات وروح دعابة . اضف الى ذلك ان القصة منتزعة من صميم حياتنا وتقاليدنا . ان احمد سويد قصاص بارع في « قاهر العفاريت » انما انصح له ان يعنى بلغته ، فقد وقعت على بضع غلطات يستطيع ان يسألني عنها اذا شاء . اما الآية الكريمة التي استشهد بها ، فقد قدم فيها واخر ، قائلاً : « اذا جاء اجلهم لا يستقدمون ولا يستأخرون . وقد قال الله تعالى : « فاذا جاء اجلهـــم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

المقالات والابحاث

مقال الاستاذ رئيف خوري « الادب اللبناني العـربي » جميل بروحه ومنطقه . وقد ذكرني بشاعرنا الخالد المرحوم ابي شبكة الذي كان على انعزاليته في السياسة ، ينادي بوحدة الادب العربي . اما رئيف غير الانعزالي ، فاستغربت ان لا يذكر القومية العربية الواحدة في معرض الحديث عن وحدة الادب العربي . ولاحظت ان الاستاذ سامي عطفـه في باب « مناقشات » اخذ عليه ايضاً اغفاله القومية في مناظرته مع طه حسين ولعل رئيفاً الاشتراكي النزعة يجفل من كلمه القومية التي ترسم له اشباحاً من الفاشية .

وكنت افضل ان يكون عنوان المقال : الادب العربي اللبناني ، لان قوله الادب اللبناني العربي يعني ان هناك ادباً لبنانياً غير عربي . وقد حكم هو نفسه عـــلى آثار الادب اللبناني المكتوب بغير العربية حكماً قاسياً عادلاً .

***

الاستاذ عبدالله عبد الدائم من المتحمسين للالتـــزام في الادب . وهو يعالج ذلك معالجة مستفيضة في تعليقه عـــلى مناظرة طه حسين ورئيف خوري ، ويبشر او يتنبأ بمخاض ادب جديد . وهو في تحمسه للالتزام ، يدلي باحكام جارفة فيزعم مثلاً ان ادب القرن السـابع عشر في اوروبا والادب العباسي عندنا كانا في عزلة عن قضايا الشعـب ، فالى اين ذهب بابن المقفع وموليير ؟

اسارع فاقول اني من الانصار المتواضعين لحرية الاديب ؛ لكني لا افهم بحرية الاديب عاجية الابراج . ولما كنت اومن بان كل اديب خليق بهذا الاسم لا بد ان يتأثر ببيئته وقضايا بني قومه وقضايا العالم ، ولما كنت اومن بانه ما من ادب خالد يمكن ان يخلو من قيم انسانية وخلقية تسمو بمجموع الناس ، فانا اعتبر الالتزام امراً واقعاً في نفس الاديب بطريـقة لاشعورية . لكن هذا الالتزام العفوي المنطلق شيء والالتزام

الذي يتحدث عنه هذه الايام شيء آخر .

ان نكبة فلسطين مثلاً هزت الكيان العربي، فهل كان من واجب كل شاعر وكل كاتب ان يلزم نفسه بانتاج عمل ادبي عن النكبة ؟ اننا نلزمه بتوقيع عريضة الى الأمم المتحدة مثلاً ، ونعتبره خائناً اذا استنكف، لكننا لانستطيع ان نرميه بالخيانة ولا بالتقصير اذا لم يجد في عبقريته ما يؤهله لنظم قصيدة او كتابة قصة في مستوى رفيع عن النكبة ؟

وقد يكون من واجب الادباء ان يساهموا بمقالات ومحاضرات عن قضايا الشعب ، لكننا نفقد الادب قيمته اذا طالبناهم قسراً ان ينتجوا اعمالاً ادبية صرفاً في قضية معينة ومباشرة . وقلائل جداً بين القصصيين من وفقوا في كتابة ما يسمونه « الرواية ذات الرسالة » .

نحن مع الالتزاميين في ان الاديب الذي لا يعيش مشاكل عصره ومجتمعه لا يستحق حمل رسالة الادب . لكن مثل هذا الاديب غير موجود حتى قبل التبشير بالالتزام . ولا ننسى ان مشكلة عصر من العصور قد تكون مشكلة العصور كلها . لكننا لا نستطيع في الوقت نفسه ان ننكر ان من الادب ما هو عزاء ، كما قال توماس مان . وهناك قضايا كما هناك امراض لا تعالج الا بالعزاء . ويبقى في نظرنا ان للادب شرطاً اساسياً واحداً هو ان يكون جميلاً . ومتى التزم الاديب بالجمال ، فقد ادى كل واجبات الالتزام .

***

لقد ارهق الاستاذ موريس كامل نفسه حتى عثر على اقوال لطه حسين في كتبه تناقض بعض ما جاء في مناظرته . واعتقد انه جهد غني لم يتناسب وفقر النتيجة . فالاديب الحق ، وليس هناك من يزعم ان طه حسين ليس بالاديب الحق — دائم التطور في افكاره ونظراته ، اي انه متحرك دينامي ، لا جامد ولا خامل . ولا يستبعد ان يرى صواباً اليوم ما كان يراه خطأ بالامس .

ومع ذلك فالتناقض الذي اخذه الاستاذ موريس كامل على طه حسين هو من قبيل مؤاخذتك امرأ يقول لك : احب الكرز ... ثم يقول لك بعد ايام انه لا يحب الكرز المطبوخ ...

زد على ذلك ، ان طه حسين كان يناظر في وجهة ربما فرضت عليه فرضاً ، ومن واجبات المناظر ان يناهض مناظره ، لتحتك الاراء وتتفاعل . كما لا ننسى ان طه حسين كان يرتجل . وبالرغم من عذوبة ارتجاله فلا مراء بان افكاره تكون اكثر تركزاً حين يكتب .

وبعد فالفضل لموريس كامل انه قطف لنا باقة جديدة من افكار العميد .

***

« مقولات الحياة » للاستاذ مطاع الصفدي مقال غني شائق . وهو ثمرة ثقافة واسعة ونظرة جدية عميقة الى الحياة والادب .

***

« برقة العربية » بقلم الدكتور فوزي هنانو ، ربورتاج قيم ، عني بالارض والطبيعة والآثار اكثر من عنايته بالانسان البرقاوي . اما الانسان الايطالي الذي رأى الكثير من اثاره فكانت له حصة الاسد .

***

بكثير من الشجاعة والذكاء دافعت السيدة جهان غزاوي عوني عن بنت جنسها الاديبة النابغة مي . وقد تحدت الاستاذ جميل جبر مؤلف كتاب «مي في حياتها المضطربة » تحدياً فيه تهكم ، وفيه غضب . واعترف باني لم اقرأ كتاب جميل جبر لاقارن واحكم ، ولكني خرجت من قراءة السيدة عوني وانا من اتباعها في تطهير ذيل مي من الاضطرابات الدنيا التي تخيلها جميل عنها ؛ ولعله بدوره ، سيحاول تبرير نفسه بالرد على حجج السيدة عوني ، حججها القوية .

ابواب المجلة

في « النتاج الجديد » نقد الاستاذ كاظم جواد كتاب « حضارة الطين » للاستاذ شاكر مصطفى . ولم يكن من العسير على القارىء ان يدرك تواً ان هوة تقوم بين تفكير المؤلف وتفكير الناقد . فالاول متأثر بالفلسفة الغربية عامة ، والثاني بالفلسفة المادية وحدها . الفلسفة التي تجد تلامذتها اليوم اكثر ما تجدهم في غير اوروبا الغربية واميركا . ومتى ظهرت هذه الهوة للقارىء لم يبق محتاجاً الى المقارنة والتحليل لاستبانة مقاصد الناقد ، وما اذا

كان على حق في انتقاده ام لا ، ولا كيف يجعل من نظريات شبنغلر وهتلر اساس الحضارة الغربية ..

***

قضية المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، هي من اخطر قضايا الثقافة في عالمنا العربي اليوم . وطوبى للامير مصطفى الشهابي اذ وضع كتاباً في هذا الموضوع المهم . وشكراً للاستاذ وديع فلسطين الذي قدم لنا هذا الكتاب بكثير من الحنان والاعجاب .

***

مثل هذا الشكر نحمله للاستاذ رضوان ابراهيم الذي قدم لنا كتاب « شعراء الوطنية » للوطني المثالي عبد الرحمن الرافعي عن شعراء الوطنية . وكانت كلمته في المؤلف كلمة حق واعتراف

***

سبق ان اشرت الى ان سامي عطفه انكر على رئيف خوري ان لا يجعل القومية – القومية العربية بالذات – بين المحاور التي يجب ان يدور حولها ادبنا العربي المعاصر. واعتقد ان رئيفاً اكتفى بالاستقلال الوطني للتعبير عن مقاصد القومية، القومية التي لا كراهية فيها ولا عدوان .

ولست ارى رأي الاستاذ عطفه في حملته على رئيف خوري اذ يؤمن بالعمل من اجل السلام العالمي . فهذا السلام في مفهوم رئيف ، وكل وطني حر كرئيف ، لا بد ان يفهم سلاماً في ظل العدل والحرية .

***

مقال محي الدين محمد « غموض الفنان المعاصر » يرد فيه على مقال الاستاذ شاكر حسن سعيد مقال، جيد نابض بالحياة ، وزادني به اعجاباً اني على مذهبه في تذوق الفن ، صعيد تفاهم وتبادل ومشاركة بين الفنان وجمهوره .

***

واختصر ، فاقول اني قرأت بقية ما جاء في باب مناقشات وكل ما جاء في صندوق البريد ، فاذا الاخذ والرد يجريان على مستوى عال في غير تهاتر ولا اقذاع ، ولو لم يخل الامر من غمز ولمز لا بأس بهما . واستثني رد الاستاذ انور المعداوي على الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا ، فقد بدت عليه مسحة عصبية قاسية . ولعل البادىء اظلم ..

وتلوت كل ما جاء في بابي النشاط الثقافي في العالمين الغربي والعربي وكله ممتع او مفيد ، لكن اظن ان نعت هذا النشاط بالثقافي هو توسع في المعنى . ونعت الادبي اقرب تعبيراً عن حقيقة هذا النشاط

الشعر

ليس اضوع من الشعر مسكاً لختام حديث . ولهذا آثرت الشعر بهذا المكان من حديثي الطويل .

تحية اعجاب وعرفان للسيدة سلمى الخضراء الجيوسي . لولا خوفي سخط النساء وكيدهن ، لقلت لك يا سيدتي ان في قصيدتك « جامع قرطبة » من الفحولة ما يدهش ! لقد

مؤلفات

الدكتور طه حسين

غ.ل.	
٥٠٠	الايام (جزآن)
٤٠٠	في الادب الجاهلي
٣٥٠	فصول في الادب والنقد
١٢٠٠	حديث الاربعاء (٣ اجزاء)
٤٠٠	تجديد ذكرى أبي العلاء
٢٠٠	مع ابي العلاء في سجنه
٤٥٠	مع المتنبي
٢٥٠	من حديث الشعر والنثر
٥٠٠	الوان
٢٠٠	دعاء الكروان
٢٥٠	شجرة البؤس
٣٥٠	من الادب التمثيلي اليوناني
٧٥٠	على هامش السيرة (ثلاثة اجزاء)
٢٠٠	الوعد الحق
٤٠٠	عثمان
٤٠٠	علي وبنوه
٢٥٠	اديب
٢٥٠	قادة الفكر
٢٥٠	جنة الشوك
٤٠٠	مستقبل الثقافة في مصر
٢٥٠	نظام الاثينيين

تطلب من المكتبات الشهيرة ومن متعهد التوزيع

دار المعارف بيروت لصاحبها أ. بدران

بناية العسيلي – السور ص . ب ٢٦٧٦

اثرت فينا الفخر ، واثرت الرجاء ، دون أن تعبثي بالواقع . اما اسلوبك ، من لغة وجرس وصور واخيلة ، فمن اجمل ما عرفت .

***

ان قصيدة سليمان العيسى « مي وسعد والجلاء » ، على ما فيها من تشاؤم مبالغ فيه ، قصيدة رائعة . والشاعر ذو افكار تقدمية ووطنية متطرفة ، يحسن التعبير عنها باسلوب قصصي جذاب وقريض بليغ .

***

« صباح العيد » والاصح « الشهيد صباح العيد » بلغة النثر ، للاستاذ عبد الرحمن رباح الكيالي ، قصيدة فيها قوة وروعة ، في تمجيد التضحية والحملة على الطغاة ، وسط جو متوتر تتضارب فيه عواطف شتى من الفرح بالعيد ، وسذاجة الاطفال ، ورهبة الموت ، وآمال التحرر .

***

« دير ياسين » للاستاذ نذير العظمة ، متعددة الاهداف . كلها اهداف نبيلة ولا شك ، لكن « مجزرة ياسين » تغرق في بحر .. وعلى ذكر الغرق ، نقول إن الشاعر استعمل كلمة « غرقى » بمعنى غريق او غريقة ، كما « غرب » كلمة « المشوار » ، وقد اغفر الثانية ولا اغفر الاولى .

ليت الشاعر ركز موضوعه . ولكن النفس الشعري متوفر على اي حال .

***

الاستاذ نجيب سرور يتحرر من الوزن والقافية في « طوبى للجبناء » ويتحرر في الوقت نفسه من بعض القيم المتواضع عليها . واني اذ اعجب بصوره النابضة ، واقره على ضرورة النهوض بحياة العمال والفلاحين ، لا اماشيه في تقديس الجبن ... ولا في تبرير التخلف عن حمل السلاح في وجه غاصب اجنبي .

***

« في ظلام الدرب » للاستاذ محمد اسماعيل هاني ، لا تخلو من جو ، ومن ومضات . على اني لا احب « التصريح » في وصف الحوادث الجنسية .

محمد النقاش

دار البيضاوي - بيروت

للتأليف والترجمة والنشر

ص.ب: ٢٩٩٥ تلفون: ٣١٣٠١٧

صدر عنها حديثاً

١ - ذوبان الجليد

تأليف: ايليا اهرنبرغ

نقلها الى العربية

جمال البيضاوي

الثمن: ١٧٥ ق. ل

•

٢ - الليالي البيضاء

تأليف: دستويفسكي

نقلها الى العربية

المحامي عبدالله البيضاوي

الثمن: ١٢٥ ق. ل

•

٣ - سياسة اميركا الخارجية

بقلم خيرات البيضاوي

الثمن: ١٧٥ ق. ل